إضاءة

لا عجب ان تكون صورة سكّان اميركا الشمالية الاصليّين في المخيّلة العربية هي صورة «الهندي الاحمر»، تماما كما هي صورة الفلسطيني في الإعلام الغربي

علي عاشور

منذ بداية معركة «طوفان الأقصى» في تشرين الأوّل/ أكتوبر الماضي، انتشرت مقاربات ومقارنات كثيرة ما بين تاريخ الاستعمار الاستيطاني في أميركا الشمالية، أو «جزيرة السلحفاة» كما يسمّيها السكّان الأصليّون، وتاريخ استعمار واستيطان فلسطين. ومع تقاطُع السرديات، نُشرت على مواقع التواصل الاجتماعي صور ورسومات ومقاطع فيديو مركبةً تُوازي بين ما حدث للسكّان الأصليّين في أميركا الشمالية على مدى أربعة قرون وما يحدث مع الفلسطينيّين. وقد انتجت هذه الموازاة التاريخية حالةً من الإدراك الثقافي،

مواجَهةٌ لا تتجزّأ

لا يمكن مواجهة الاستعمار المعرفي انطلاقاً من ثقافة وتاريخ مكان ما وفصله عن ثقافات الأماكن الأخرى وما يجري فيها، كما لا يمكن لخطاب يدّعي جذريّته الفكرية أن يُفكّك السردية الاستعمارية في فلسطين، في حين يكرّر ويعيد استخدام سرديات استعمارية أخرى في إفريقيا وآسيا وأميركا الشمالية. إنّ مواجهة الاستعمار المعرفي لا تكون جزئية، بل متكاملة. وما فصل هذه المواجهة وتشتيتها إلّا إحدى آليات عمل المنظومة الاستعمارية وتقسيمها لهذا العالم.

تقاطُعات النضال المعرفي ضدّ الاستعمار

فلسطين وأميركا الشمالية

الجزئي، في العالَم، لما يقوم به الاستعمار الاستيطاني، كما فتحت نافذة جديدة للنظر إلى امتداد الاستعمار الأوروبي واستمراره بأشكال مختلفة حتى اليوم، في مختلف بقاع الأرض.

غير أنّ الملاحظ في اللغة المُستخدمة في هذه المقاربات والمقارنات تسمية سكّان أميركا الشمالية الأصليّين بـ«الهنود الحمر»، وهي تسمية لا تنحصر دلالاتها على محو ثقافات وآداب شعوب متعدّدة فحسب، بل تُكرّس المنظور الكولونيالي الذي بُني على إبادة وقمع وتهميش هذه الشعوب. وبطبيعة الحال، ثمّة من يستخدم هذه التسمية ويحاول تبريرها بكونها متعارفاً عليها في الأوساط الثقافية العربية، نافياً بذلك عن نفسه صفة العنصرية، ومستدلّاً بأسماء باحثين وأكاديميّين استخدموها في مقالاتهم وكتبهم. وبالتالي، تسقط تهمة العنصرية عن مستخدميها، لأنّ علاقة الدال والمدلول هنا يقومها توظيف المصطلح لإيصال المعلومة، لا استخدام المصطلح لتدليله على دونية السكّان الأصليّين.

من ناحية أخرى، أصبحت الصوابية السياسية اليوم تهمةً جاهزةً لكلّ من يحاول فتح نقاش المصطلحات المعرفية المستخدمة في توصيف شعوب عانت، ولا تزال، من الاستعمار وتبعاته، صارت هذه التهمة، التي يستخدمها المحافظون الجدد في الغرب كسلاح ضدّ كل قراءة تاريخية أو معرفية تُناقض أو تُخالف سردية المركزية الأوروبية، على مستوى التطوّر الثقافي والحضاري، آلية دفاعية لكثير من مدّعي محاربة الاستعمار المعرفي في العالم العربي. وليس تلاقي خطاب المحافظين الجدد مع متصدّري مشهد مواجهة الاستعمار المعرفي بسردية استعمار أميركا الشمالية وطبيعة نضال السكّان الأصليّين إلّا دليلاً على فعالية الاستعمار المعرفي وتغلغله في الخطابات العربية، بمختلف توجّهاتها الأيديولوجية.

إنّ صناعة ماهية «الهندي الأحمر» جزءٌ لا يتجزّأ من صناعة هوية الاستعمار الاستيطاني الأميركي - الكندي والسردية التاريخية لأميركا الشمالية؛ فـ«الهندي الأحمر» في المخيال الاستعماري هو كائنٌ من الماضي، لم يرتقِ في سلّم الحضارات والثقافات، ولم يتطوّر معرفياً منذ آلاف السنوات، كما أنّه لم يستطع تطوير الأرض الذي عاش عليها لقرون، ولا تهذيب طباعه وتغيير مدركاته إلّا مع قدوم المستعمر الأوروبي.

اليوم، رغم الاعتراف الضمني بما جرى على السكّان الأصليّين من إبادة ووحشية وقمع وتجويع وتهجير واستلاب ثقافي، تُعاد صناعة «الهندي الأحمر» بصُوَر متعدّدة تتماهى مع توطيد قوام المنظومة الاستعمارية ثقافياً واقتصادياً.

في دراسة بعنوان «العقلانية الدائمة لعقيدة الاكتشاف في كندا»، تحلّل الباحثة في «جامعة البرتا» سيلين بوليو البنية المعرفية التي أسّسها المستعمرون الأوروبيّون لتبرير استعمارهم ونهبهم شعوب العالم من جهة، ويسار تشكّل أطوار هذه البنية في المنظومة الحديثة من جهة أخرى؛ حيث تُجادل الباحثة بأنّ منظومة الاستعمار الاستيطاني الحديثة تتجاوز إلغاء أحقية السكّان الأصليّين في أرضهم وذلك من خلال إعادة توطينهم في المنظومة الاقتصادية القائمة، من دون المساس ببنية المنظومة وسيادة الحُكم الذي أسّس على قواعد الاستعمار. وتتناول بوليو مفهوم «الحاكمية الاستيطانية»، الذي أبدعه الباحثان الكنديان أندرو كرسبي وجيفري مونـاغان، لدراسة وتقييم آليات الحُكم والأطر الأمنية التي استخدمتها الحكومة الكندية ضد شعوب الألغونكويين في بحيرة باربير.

من مظاهرات للسكّان الأصليّين في تورنتو الكندية دعما للشعب الفلسطيني، كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

> يثبت الاستعمار المعرفي تغلغله في الخطابات العربية

يستند الباحثان في عملهما إلى مفهوم ميشيل فوكو للحاكمية، الذي يبيّن طبيعة الأطر الأيديولوجية والتقنيات التي توظّفها وتستخدمها المؤسّسات والطبقات الحاكمة في تحديد وتنظيم وتوجيه تراتبية علاقات الحكم وسلوكيات الجماعات الشعبية المحكومة.

وتكمن أهمية مفهوم «الحاكمية الاستيطانية»، حسب بوليو، في أنّه يُميّز بين المجتمعات الاستعمارية التي كان فيها الأوروبيّون أقليةً، كأفريقيا على سبيل المثال، والمجتمعات التي شكّلوا فيها أكثرية حاكمة فرضت بمختلف الآليات سيطرتها على الموارد والحُكم. ففي حالة كندا، تمثيلاً لا حصراً، لا يُعدّ إلغاء سيادة السكّان الأصليّين على الأرض ضرورة لتوطيد وتوكيد قيام منظومة الاستعمار الاستيطاني واستيلائها على أراضي السكان الأصليّين وحسب، بل يعمل على إعادة إنتاج وتصدير أحقية المستوطن في سيطرته وحكمه.

هكذا يؤصّل المُستعمر فكرة عقيدة الاكتشاف التي ابتدعتها الكنيسة عام 1240، ومن ثم فعّلها البابا الكسندر السادس عام 1493، لاستعمار أميركا الشمالية. فالحاكمية الاستيطانية لا تحتاج إلى الاستناد إلى عقيدة دينية لتبرير نفسها. فأسس هذه العقيدة جزء لا يتجزّأ من المنظومة الاستيطانية. وبالتالي بنية العلاقات الاجتماعية وآلية العمل المؤسّساتي والقانوني تتفاعل لضمان بقاء هذه المنظومة واستمرارية سيادتها. وهذا ما يمكّنها من إعادة إنتاج هيمنتها، رغم التناقضات الكثيرة. فالتناقض جزء من قوام المنظومة نفسها. وإلغاء هذا التناقض يعني تقويض القواعد التي بُنيت عليها المنظومة. لذا نجد أنّ تمثيل وتصوير السكّان الأصليّين يُعيد إنتاج وتاطير الصورة الاستعمارية عنهم، رغم تغيير اللغة المستخدمة وكشف التاريخ الاستعماري والاعتراف بالجرائم التي ارتكبها المستعمرون بحقّهم. في هذا الإطار، يؤكّد الصحافي الأنشنابي (نسبة إلى شعب الأنشنابي)، وأستاذ الصحافة في «جامعة كارلتون» دنكن مكيو أنّ الصحافة الكندية والأميركية ما زالت تعيد إنتاج «الهندي الأحمر» بمواصفات الصورة الاستعمارية التي كرّستها هوليوود.

ويشير مكيو، في مقالته «ما الذي يتطلّبه الأمر ليصير السكّان الأصليّون خبراً صحافياً»، إلى دور الإعلام في اجترار الصور النمطية عن السكّان الأصليّين وإعادة تصديرها في قوالب مختلفة، لكنّها محصورة في مناطق معيّنة يُصوّرون فيها على أنّهم «طبّالون» أو «سكارى»، أو «محاربون قدامى»، أو ضحايا، أو مجرّد جثث هامدة. ويختم مقالته بقوله: «ربما نُقول، وبكلّ صفاقة، إنّ الهندي الجيّد هو الهندي الميت؟»، مستفزاً الذهنية الاستعمارية التي أنتجت هذه المقولة، ومستنكراً لها.

ألا تُذكرنا هذه المقولة بمقولة الصهيونية «العربي الجيّد هو العربي الميت»؟ لا شك أنّ تلاقي شعارات الاستعمار الاستيطاني في إلغاء سكّان الأرض الأصليّين وثقافتهم وهوياتهم ليس محض صدفة. كما أنّها ليست مصادفة إعادةُ تدوير وتداول مصطلح «الهندي الأحمر» وتشويه تاريخه ونضاله وثقافته حول العالم. فالمنظومة العالمية قامت على قواعد وفكر الاستعمار الأوروبي وهيمنته واستمراريته. والهيمنة المعرفية، وما تتضمّنه من توصيف وتعريف وتشويه تاريخ وثقافة جماعة بشرية تناهض هذه المنظومة، ليس إلا طوراً من أطوار هذه المنظومة وآليات عملها وتفاعلاتها.

هكذا لا عجب، إذاً، أن تكون صورة سكّان أميركا الشمالية الأصليّين في المخيّلة العربية والوعي الجماهيري العام هي صورة «الهندي الأحمر»، تماماً كما هي صورة الفلسطيني في الإعلام الغربي وذهنية كثير من الشعوب: «الضحية»، أو «اللاجئ»، أو «الفقير»، أو «الدبّيك»، أو «الإرهابي». وربّما في أفضل الأحوال الميت بلا بيت ولا أرض!

ليس استرجاع صورة الفلسطيني اليوم في الإعلام الغربي إلّا إعادة إنتاج لصورة «الفدائي» أو «الضحية» في المخيال الاستعماري المهيمن. لذا نجحت البروباغندا الصهيونية، بعد السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023، ومعها وسائل الإعلام الغربية، في تكريس ماهية الإنسان الفلسطيني وثقافته وتاريخه ضمن إطار موجود مُسبقاً، وما تدوير صورة السكّان الأصليّين في العالم العربي سوى امتداد لمنتجات منظومة الاستعمار.

(شاعر وصحافي سعودي مقيم في كندا)

هموم شعرية

التقاط الذات وتحوّلات اللحظة

علي شمس الدين

تقف هذه الزاوية مع شاعر عربي في علاقته مع قارئه وخصوصيات صنعته لا سيما واقع نشر الشعر العربي المعاصر ومقروئيته

لدن ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوانٍ إبادةٍ على غزّة؟

هذه الحرب جعلتنا نُدرك أنّه ليست لدينا لغة نرثي بها مَن قُتلوا، لم يتبقَّ شيء من إنسانيتنا إلّا هذا الموت. وهذا مكانٌ يشبه الذهابات المغلّفة بالنسيان.

■ من هو قارئك؟ وهل تعتبر نفسك شاعراً مقروءاً؟

لا أعرف ما هو تعريف القارئ في زمننا هذا، ولكنّني في الوقت نفسه أعرف أنّه لديّ بعض القرّاء الذي يقرأون ما أكتب، وبعضهم يكتب أيضاً ونتحدّث في الشعر والكتابة عامّة. أنا متأكّد أنّ هناك أفراداً ما زال الشّعر يعني لهم، ولكن ليست لديّ فكرة كيف هي الحال خارج هذه الدائرة.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، هل لديك ناشر وهل هو الناشر الذي تحلم به لشعرك؟

علاقة جيّدة جدّاً مع عدّة دُور نشر أسهمت في إخراج أعمالي إلى العلن.

■ كيف تنظر إلى النشر في المجلّات والجرائد والمواقع؟

لا بأس بها. أعتقد أنّ هناك فائضاً من الوسائط والمواقع، خاصّة بعد موت النسَخ الورقية، وهذا جيّد.

■ هل تنشر شعرك على وسائل التواصل الاجتماعي، وكيف ترى تأثير ذلك في كتابتك أو كتابة زملائك ممن ينشرون شعرهم على وسائل التواصل؟

أنشر على الوسائط بوتيرة متقطّعة كي يقرأني الأصدقاء وأقرانهم أيضاً، وهذا يصنع ديناميةَ تفاعُلية جيّدة.

■ من هو قارئ الشعر العربي اليوم في رأيك؟

ما زال هناك اهتمام بالشعر. هناك ورثة ما من الأجيال الماضية، ولكنّي لا أعرف ما هي سمة القرّاء اليوم.

■ هل توافق أن الشعر المترجم من اللغات الأخرى هو اليوم أكثر مقروئية من الشعر العربي، ولماذا؟

هذا سؤال كمّي لا قدرة لي على الإجابة عنه؛ لأنّي لا أملك البيانات أو الأحصاءات. هناك حركة ترجمة وهذا جيّد، وهناك حركة كتابة وهذا جيّد أيضاً. ربّما نفتقد حركة نقد تواكب ما يُكتب ويُقال، وتُنتج باب نظر إلى المستقبل.

■ ما هي مزايا الشعر العربي الأساسية وما هي نقاط ضعفه؟

اتجاهات الشعر المكتوب باللغة العربية متغيّرة، وهي تعتمل في لحظات تساؤل وتقيم في استحالات الراهن الكبرى. مَن يكتب الشعر الآن يعيش في لحظة سؤال أكثر ممّا هي لحظة إجابة واستنتاج، وما يهمّني من الشعر الآن هو التقاط الذات والتحوّلات في اللحظة. ولكن على العموم، أعتقد أنّ إحدى نقاط ضعف الشعر ليست فيه، إنّما بما يُحمّله البعض من أعباء ونبوءات خلاصية، أو يُخرجه عن التماس مع الواقع.

■ شاعر عربي تعتقد أن من المهم استعادته الآن؟

أعودُ دائماً إلى بسام حجار. تمثّل تجربته فرادة في الجُمل الشعرية وموقفه النقدي من الثقافة العربية والتوجّهات الشعرية التي سلكها. ربّما يُمثّل مشروعه نوع الشعر الذي يجعلك تودّ قراءته وزيارته دائماً، ولكنّه لا يصلح لأن يكون نسقاً. قوّته تكمن في أنّه تصوُّر للشعر أكثر منه نسقاً.

■ ما الذي تتمناه للشعر العربي؟

أتمنّى أن تتيح لنا الحياة وقتاً أكثر رحابةً للقراءة والكتابة. من تحدّيات الشعر الحديث تحوّله إلى فنّ يُصنع في فائض الوقت. الحياة اليومية تطحن أجسامنا، والشعرُ، في بعض وجوهه، يبدو ترفاً.

بطاقة

شاعر وكاتب صحافي لبناني مقيم في لندن، من مواليد عام 1979. متخصّص في أنساق تكنولوجيا المعلومات وأساليبها الجديدة. يعمل في مجال الهوية الرقمية والسلوك البيومتري. صدرت له مجموعتان شعريّتان: «نزول الألفة» (2020)، و«حول العالم الأول» (2023). وكتاب شعري مشترك مع بلال خبيز بعنوان «مدينتان» (2023). صدرت له مؤخّراً ترجمته لكتاب «الأقل انخداعاً» للشاعر الإنكليزي فيليب لاركن.

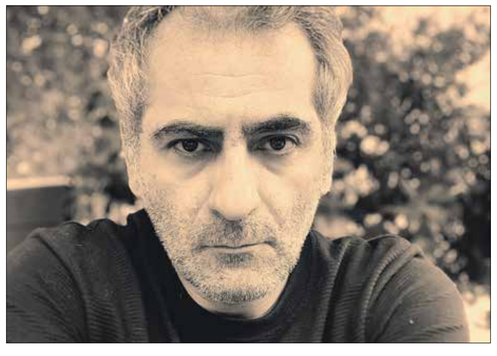
علي شمس الدين

إطلالة

ما العالمية؟

معدوح عزام

كان السؤال عن العالمي في الرواية، ولا يزال، شاغلاً للعديد من القرّاء، والنقّاد أيضاً، فما إن يُترجَم كاتب ما إلى لغة أو لغات أُخرى، حتى تجد من يبارك له انتقاله، أو بداية انتقاله، إلى العالمية. فهل تَعني العالمية الانتشار، أم هي وصفة مضادّة، أو أكثر رقيّاً من الوصفة المحلّية التي تترك بعض الكتابات مهمَلة، من دون أن تُترجَم وتنتشر؟

قليلةٌ هي الروايات التي حازت الأهمّية والشهرة، دون أن تكون مخضَّبة بلحم الواقع وعظمه، يمكن القول إنّها نادرة، أو غير موجودة، باستثناء روايات الخيال العلمي، أو الروايات الخيالية التي تخاطب الأطفال. وعدا ذلك، يبدو الواقع هو العنصر الذي يمنح الروايات نكهتها الخصوصية التي تعني المكان واللغة والعادات والتقاليد وأشكال العلاقات بين الناس، في أيّ حكاية.

يتحرك الروائي الأميركي وليم فوكنر في مساحة جغرافية واحدة مخترعة، هي يوكناباتوفا، تضمّ مدناً وقرى عديدة، ولسكّانها تقاليد محدّدة، يكتبها الروائي، ويعيد كتابتها، رواية بعد أُخرى، ولا يمكن أن تقول عن رواياته غير أنّها رواية محلّية، بل هي تغرق في محلّية غامضة تضع أمام المترجمين غير العارفين بالمكان وعاداته مشاكل في الترجمة، يمكن أن تؤدّي إلى أخطاء في فهم العبارات. لا يختلف ماركيز الكولومبي كثيراً عن هذه الخطّة، والراجح أنّه متأثّر إلى أبعد الحدود بخطّة فوكنر، ولديه مساحة محلّية مخترَعة أيضاً هي ماكوندو التي صنع لها تقاليدها الخاصّة المحلّية التي ستكون علامة من علامات الخصوصية في التأليف الروائي.

فتقاليد البشر في رواية ماركيز تتكرّر في معظم أعماله، وهُم لا يخرجون غالباً من الجغرافيّة التي ابتكرها، ومثلهما الروائي العراقي غائب طعمة فرمان، ولفرمان خصوصيةٌ فريدة، وهي أنّه عاش بعيداً عن بلده، ولكن رواياته، مثل «خمسة أصوات» أو «النخلة والجيران» أو «آلام السيّد معروف» وغيرها، مشبعة بالواقع العراقي، وربما كان «السيّد معروف» من أكثر الشخصيات الروائية في الأدب العربي تعبيراً عن الواقع الذي يعيش فيه، وهو هنا واقع العراق في الزمن الذي تُشير إليه الرواية، بكلّ خصوصيته وفرادته، ولكن بكلّ ما يشترك به مع الإنسان في جميع الأمكنة، وهو ينتسب بقوّة إلى سلالة الشخصيات البارزة في الأدب العالمي.

وتمنح المحلّية في رواية الصيني مو يان، «الذرّة الرفيعة الحمراء»، النصّ عالميته، تقرأ الرواية فنّاً قائماً على استخدام التقنيات المعروفة في الرواية العالمية، ويستعير الروائي الصيني تقنيات رواية أميركا اللاتينية السحرية، وخصوصاً لدى ماركيز، من دون أن يفرط بالخصوصيات الصينية. إذ تقرأ روايته بوصفها الصورة المتخيّلة لريف الصين، ولعادات الناس هناك، ولطبيعة تفكيرهم، وتفاصيل واللغة والعادات والتقاليد وأشكال العلاقات بين الناس، في أيّ حكاية.

يتحرك الروائي الأميركي وليم فوكنر في مساحة جغرافية واحدة مخترعة، هي يوكناباتوفا، تضمّ مدناً وقرى عديدة، ولسكّانها تقاليد محدّدة، يكتبها الروائي، ويعيد كتابتها، رواية بعد أُخرى، ولا يمكن أن تقول عن رواياته غير أنّها رواية محلّية، بل هي تغرق في محلّية غامضة تضع أمام المترجمين غير العارفين بالمكان وعاداته مشاكل في الترجمة، يمكن أن تؤدّي إلى أخطاء في فهم العبارات. لا يختلف ماركيز الكولومبي كثيراً عن هذه الخطّة، والراجح أنّه متأثّر إلى أبعد الحدود بخطّة فوكنر، ولديه مساحة محلّية مخترعة أيضاً هي ماكوندو التي صنع لها تقاليدها الخاصّة المحلّية التي ستكون علامة من علامات الخصوصية في التأليف الروائي.

فتقاليد البشر في رواية ماركيز تتكرّر في معظم أعماله، وهُم لا يخرجون غالباً من الجغرافيّة التي ابتكرها، ومثلهما الروائي العراقي غائب طعمة فرمان، ولفرمان خصوصيةٌ فريدة، وهي أنّه عاش بعيداً عن بلده، ولكن رواياته، مثل «خمسة أصوات» أو «النخلة والجيران» أو «آلام السيّد معروف» وغيرها، مشبعة بالواقع العراقي، وربما كان «السيّد معروف» من أكثر الشخصيات الروائية في الأدب العربي تعبيراً عن الواقع الذي يعيش فيه، وهو هنا واقع العراق في الزمن الذي تُشير إليه الرواية، بكلّ خصوصيته وفرادته، ولكن بكلّ ما يشترك به مع الإنسان في جميع الأمكنة، وهو ينتسب بقوّة إلى سلالة الشخصيات البارزة في الأدب العالمي.

وتمنح المحلّية في رواية الصيني مو يان، «الذرّة الرفيعة الحمراء»، النصّ عالميته، تقرأ الرواية فنّاً قائماً على استخدام التقنيات المعروفة في الرواية العالمية، ويستعير الروائي الصيني تقنيات رواية أميركا اللاتينية السحرية، وخصوصاً لدى ماركيز، من دون أن يفرط بالخصوصيات الصينية. إذ تقرأ روايته بوصفها الصورة المتخيّلة لريف الصين، ولعادات الناس هناك، ولطبيعة تفكيرهم، وتفاصيل واللغة والعادات والتقاليد وأشكال العلاقات بين الناس، في أيّ حكاية.

يتحرك الروائي الأميركي وليم فوكنر في مساحة جغرافية واحدة مخترعة، هي يوكناباتوفا، تضمّ مدناً وقرى عديدة، ولسكّانها تقاليد محدّدة، يكتبها الروائي، ويعيد كتابتها، رواية بعد أُخرى، ولا يمكن أن تقول عن رواياته غير أنّها رواية محلّية، بل هي تغرق في محلّية غامضة تضع أمام المترجمين غير العارفين بالمكان وعاداته مشاكل في الترجمة، يمكن أن تؤدّي إلى أخطاء في فهم العبارات. لا يختلف ماركيز الكولومبي كثيراً عن هذه الخطّة، والراجح أنّه متأثّر إلى أبعد الحدود بخطّة فوكنر، ولديه مساحة محلّية مخترعة أيضاً هي ماكوندو التي صنع لها تقاليدها الخاصّة المحلّية التي ستكون علامة من علامات الخصوصية في التأليف الروائي.

فتقاليد البشر في رواية ماركيز تتكرّر في معظم أعماله، وهُم لا يخرجون غالباً من الجغرافيّة التي ابتكرها، ومثلهما الروائي العراقي غائب طعمة فرمان، ولفرمان خصوصيةٌ فريدة، وهي أنّه عاش بعيداً عن بلده، ولكن رواياته، مثل «خمسة أصوات» أو «النخلة والجيران» أو «آلام السيّد معروف» وغيرها، مشبعة بالواقع العراقي، وربما كان «السيّد معروف» من أكثر الشخصيات الروائية في الأدب العربي تعبيراً عن الواقع الذي يعيش فيه، وهو هنا واقع العراق في الزمن الذي تُشير إليه الرواية، بكلّ خصوصيته وفرادته، ولكن بكلّ ما يشترك به مع الإنسان في جميع الأمكنة، وهو ينتسب بقوّة إلى سلالة الشخصيات البارزة في الأدب العالمي.

وتمنح المحلّية في رواية الصيني مو يان، «الذرّة الرفيعة الحمراء»، النصّ عالميته، تقرأ الرواية فنّاً قائماً على استخدام التقنيات المعروفة في الرواية العالمية، ويستعير الروائي الصيني تقنيات رواية أميركا اللاتينية السحرية، وخصوصاً لدى ماركيز، من دون أن يفرط بالخصوصيات الصينية. إذ تقرأ روايته بوصفها الصورة المتخيّلة لريف الصين، ولعادات الناس هناك، ولطبيعة تفكيرهم، وتفاصيل واللغة والعادات والتقاليد وأشكال العلاقات بين الناس، في أيّ حكاية.

يتحرك الروائي الأميركي وليم فوكنر في مساحة جغرافية واحدة مخترعة، هي يوكناباتوفا، تضمّ مدناً وقرى عديدة، ولسكّانها تقاليد محدّدة، يكتبها الروائي، ويعيد كتابتها، رواية بعد أُخرى، ولا يمكن أن تقول عن رواياته غير أنّها رواية محلّية، بل هي تغرق في محلّية غامضة تضع أمام المترجمين غير العارفين بالمكان وعاداته مشاكل في الترجمة، يمكن أن تؤدّي إلى أخطاء في فهم العبارات. لا يختلف ماركيز الكولومبي كثيراً عن هذه الخطّة، والراجح أنّه متأثّر إلى أبعد الحدود بخطّة فوكنر، ولديه مساحة محلّية مخترعة أيضاً هي ماكوندو التي صنع لها تقاليدها الخاصّة المحلّية التي ستكون علامة من علامات الخصوصية في التأليف الروائي.

فتقاليد البشر في رواية ماركيز تتكرّر في معظم أعماله، وهُم لا يخرجون غالباً من الجغرافيّة التي ابتكرها، ومثلهما الروائي العراقي غائب طعمة فرمان، ولفرمان خصوصيةٌ فريدة، وهي أنّه عاش بعيداً عن بلده، ولكن رواياته، مثل «خمسة أصوات» أو «النخلة والجيران» أو «آلام السيّد معروف» وغيرها، مشبعة بالواقع العراقي، وربما كان «السيّد معروف» من أكثر الشخصيات الروائية في الأدب العربي تعبيراً عن الواقع الذي يعيش فيه، وهو هنا واقع العراق في الزمن الذي تُشير إليه الرواية، بكلّ خصوصيته وفرادته، ولكن بكلّ ما يشترك به مع الإنسان في جميع الأمكنة، وهو ينتسب بقوّة إلى سلالة الشخصيات البارزة في الأدب العالمي.

وتمنح المحلّية في رواية الصيني مو يان، «الذرّة الرفيعة الحمراء»، النصّ عالميته، تقرأ الرواية فنّاً قائماً على استخدام التقنيات المعروفة في الرواية العالمية، ويستعير الروائي الصيني تقنيات رواية أميركا اللاتينية السحرية، وخصوصاً لدى ماركيز، من دون أن يفرط بالخصوصيات الصينية. إذ تقرأ روايته بوصفها الصورة المتخيّلة لريف الصين، ولعادات الناس هناك، ولطبيعة تفكيرهم، وتفاصيل حياتهم. وهو أحد أسباب الاهتمام العالمي بها.

ويمكن للسؤال أن يضعنا في قلب مسألة هوية الكتابة والفن. فعالمية كلّ واحد من هؤلاء الروائيّين لا تأتي من الترجمة، بل من النصّ نفسه. وهذا هو ما يخلق الفارق بين النظرية والتنفيذ: يمكن للنظرية أن تتحدّث عن القواعد والشروط التي تميل إلى التجريد، غير أنّ الرواية نفسها، أي هذه الرواية أو تلك، هي التي تُجسّد تلك الشروط، وتصلح، أو لا تصلح، لأنّ تكون عالمية.

(روائي من سورية)

معرض

أحمد ماطر التفاعل المعقد بين المقدّس والعلماني

تحوّلات السعودية في عقدين

يضمّ المعرض، المُقام في لندن، أعمالاً بين الرسم والتصوير والنحت، توضّح رؤية الفنان السعودي للتفاعل بين التقاليد والحداثة في بلده

لندن ـ **العربي الجديد**

بدأ الفنّان السعودي أحمد ماطر (1979)، منذ نحو عقدين، مقاربة مسائل حرجة تتعلّق بالتغيرات المتسارعة التي يعيشها مجتمعه، وكذلك تلك التناقضات بين النظرة إلى المقدّس والعولمة؛ وهي موضوعات يضيئها في معرضه «سجلّات»، الذي افتتح في «دار كريستيز» بلندن في السابع عشر من الشهر الجاري، ويتواصل حتى الثاني والعشرين من الشهر المقبل.

يضمّ المعرض قرابة مئة عمل تتنوّع بين الرسم والتصوير الفوتوغرافي والنحت والفيديو والتركيب، يُوضّح الفنّان السعودي من خلالها ذاك التفاعل المعقّد بين التقاليد والحداثة، والمقدّس والعلماني، والذاتي والسياسي، وغيرها من المفاهيم التي تشغل بال الأجيال الشابة في بلده.

قادماً من عالم الطب، قدّم ماطر أولى أعماله الفوتوغرافية متأثّراً بتصوير الأشعة السينية، ويعرض منها سلسلة «أرض البرق»، التي التقطها أثناء عاصفة ترابية ضربت المناطق الشرقية بالسعودية عام 2017، حيث كان موجوداً حينها في مدينة الدمام، وتركّز الصور على التباين بين الإضاءة التي يعكسها البرق والمشهد الطبيعي المجرّد في الصحراء. كما يضمّ المعرض واحدة من أبرز الأعمال التي نفّذها تحت عنوان «المغناطيسية»، وتُصوّر الكعبة داخل الحرم المكّي، وتحيط بها حشود بشرية تطوف حول الحجر الأسود، حيث وضع المغناطيس في مركزه، بينما تناثرت برادة الحديد حيث يوجد الناس في مشهد الطواف الذي يحاول ماطر مقاربته مفاهيمياً، مستعيداً زيارته الأولى لمكّة حين كان طفلاً، وروى له والده كيف تمثل الكعبة جاذبية خاصّة تدفع المسلمين حولها.

من هنا وُلدت فكرة تصوير الكعبة بالمغناطيس، والتي تستند إلى محاكاة مباشرة لعلاقة المسلم بالمشعر الحرام، وذلك التوازن الذي تُشكّله العناصر الأساسية المكوّنة لمشهد الحجيج، بحسب اللوحة التي تتضمّن المربّع والدائرة، والدائرة والمكعّب، والأسود والأبيض، والضوء والظلام، ليصل ماطر إلى التعارض بين الجذب والتنافر في الوقت نفسها، عند التأمّل في المعنى الروحاني للحجّ.

فالكعبة عند الفنان هي مغناطيس جاذب وجهاز طردي مركزي في آن، حيث يتوافد الملايين إليها باندفاع وتراحم مثير بصرياً، ويتفرّقون بالطريقة نفسها عند رحليهم عنها عائدين إلى بيوتهم، بالإضافة إلى الدخول في تفاصيل أخرى، مثل تصوير الحدود التي تأخذ شكل المحراب الذي يشير إلى اتجاه الصلاة في المسجد الحرام، وتجمع حشود الناس كنقاط صغيرة في العمل، لكنّهم يبدون متّحدين أو متجانسين في حركتهم المشتركة. يتناول ماطر، الذي نشأ في مدينة أبها بمنطقة عسير، جنوبي السعودية، المعروفة بارتفاعها والغابات فوق جبالها، النقط باعتباره محرّكاً سياسياً واقتصادياً وثقافياً يحكم المجتمع، لكنّه يسعى إلى تقديم فكرة مضادّة تعتمد على أنّ الإحساس بامتلاك «ثقافة نقطية» فقط يشبه الانتحار، حيث يُثبّت في أحد أعماله مضخّة بنزين في محطّة للوقود، تتمحور في أربعة أشكال أخرى، بحيث يتحرّك الأنبوب وعدّاد الوقود في الشكل الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع، ليُصبح في الخامس إنساناً يضع إصبعه على رأسه.

> يتناول النقط بوصفه محرّكاً سياسياً واقتصادياً وثقافياً يحكم المجتمع

من المعرض

فعاليات

عند السادسة من مساء الحادي والثلاثين من الشهر الجاري، تُنظّم مجلّة «منهجيات»، عبر منصّة «زووم» ندوة بعنوان **الإبادة التعليمية**. تتناول الندوة مسألة التعليم في زمن الإبادة، ويُشارك فيها كلّ من: **ريام كفري ابو لبن**، و**ميسون ابو موسى**، و**احمد عاشور**، و**مالك الريماوي**، و**رفعت صبّاح**، وتُديرها **جمانة الوائلي**.

حتى الثاني من ايلول/ سبتمبر المقبل، يستمر في «متحف الملكة صوفيا» بمدريد معرض **ما هذا؟**، للفنّانة الإسبانية النمساوية **إيفا لوتز** (1940). يضمّ المعرضُ أعمالاً متعدّدة الوسائط، تتناول موضوعات مثل الحوار، والحدود، والتطوّر الرقمي، وإعادة التفكير في طرق التواصُل، والمناطق الخاضعة للديناميكيات الاستعمارية.

يستضيف «المعهد الفرنسي» في بيروت، عند السادسة من مساء اليوم الجمعة، معرضاً بعنوان **لبنان، كنز من التنوّع البيولوجي**، ويستمر حتى الاحد المقبل. عبر مجموعة من الصور الفوتوغرافية، يُقدّم المعرض لمحة عن التنوّع البيولوجي في لبنان الذي يأتي في المرتبة الثالثة عالمياً من حيث التنوّع النباتي.

تُقيم «مكتبة تنمية» في فرعها بالمعادي (القاهرة)، عند السابعة من مساء اليوم، حفل توقيع ومناقشة رواية **الباص** (2023) للكاتب المصري **صالح الغازي**. تتناول الرواية قصّة احمد صابر الذي يتنقّل المدينة عبر شبّاك الباص ويلتقط القصص بعيون المغترب. يناقش مؤلّف الرواية الناقد **هيثم الحاج علي**.